في الفلك حتى صار كالمغطي لهم موج اي هذا الجنس وافرده لشدة اضطرابه
واتيانه شيئا في اثر شيء متتابعا يركب بعضه بعضا كانه شيء واحد واصله
من الحركة والازدحام واختلف في قوله تعالى كالظلل فقال مقاتل كالجبال
وقال الكلبي كالسحاب والظلل جمع ظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها
فان قيل كيف جعل الموج وهو واحد كالظلل وهو جمع اجيب بان
الموج ياتي منه شيء بعد شيء فلما صاروا الى هذه الحالة دعوا الله اي مستحضرين
لما يقدر عليه الانسان من كماله بجلاله وجماله عالمين بجميع مضمون الاية
السابقة من حقيقته وعلوه وكبريائه وبطلان ما يدعونه من دونه مخلصين
له الدين اي لا تعلقون بغيره لا يدعون شيئا سواه بانفسهم ولا قلوبهم
لما اضطرهم الى ذلك فلما نجاهم اي خلصهم من تلك الاهوال الى البر نزلوا
عن تلك المرتبة التي اخلصوا فيها الدين وانقسموا قسمين فمنهم اي
تسبب عن نعمة الانجا انه كان منهم مقتصد اي عدل موف في البر بما
عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له بمعنى ثبت على ذلك وهم قليل دل عليه
التصريح بالتبعيض قيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل هرب في عام الفتح الى البحر
فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن نجاني الله من هذا لارجعن الى محمد صلى
الله عليه وسلم ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الى مكة فاسلم
وحسن اسلامه وقال مجاهد مقتصد في القول مضمر للكفر
وقال الكلبي مقتصد في القول اي من الكفار لان بعضهم كان اشد
قولا واعلى في الافتراء من بعض ومنهم من جاحد للنعمة ملق جلباب الحيا
في التصريح بذلك وهو الاكثر كما دل عليه ترك التصريح فيه بالتبعيض فان
قيل ما الحكمة في قوله تعالى في العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
وقال هنا فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اجيب بانه لما ذكر
هنا امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي اثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم
مقتصد وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معاينة مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم
حيث لم يبق عندهم اثر وقوله تعالى وما يجحد باياتنا الا كل ختار اي غدار
فانه نقض للعهد الفطري اي لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور اي
للنعم في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك لايات اي يعترف بها الصبار الشكور
ويجحدها الختار الكفور فالصبار في موازنة الختار لفظا ومعنى والكفور
في موازنة الشكور كذلك اما لفظا فيهما فظاهر واما كون الختار في موازنته
بمعنى فلان الختار هو الغدار الكبير الغدر مثال مبالغة من الختر وهو اشد
الغدر ولا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور لا يعهد منه الاضرار فانه
يصبر ويفوض الامر الى الله واما الغدار فيعاهد ولا يصبر على العهد
فينقضه واما ان الكفور في مقابلة الشكور معنى فظاهر ولما ذكر تعالى

بيانه والختر

الدلايل

الدلايل من اول السورة الى هنا وعظ بالتقوى بقوله تعالى يا ايها الناس اي
عامة وقيل اهل مكة اتقوا ربكم اي الذي لا محسن اليكم غيره واخشوا اي
خافوا يوما لا يشبه الايام ولا يعد هول البحر ولا غيره لا يجزي اي
لا يقضي ولا يغني والد عن ولده والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي
فيه وفي التعبير بالمضارع اشارة الى ان الوالد لا يزال تدعوه الوالدية
الى الشفقة على الولد وتجدد عنده العطف والرقة والمفعول اما محذوف
لانه اشد في النفي واما مدلول عليه بما في النسق الذي بعده وقوله تعالى
ولا مولود عطف على والد او مبتدا خبره هو جاز عن والده اي فيه شيئا من
الجزاء وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع
من المومنين ان ينفع اباه الكافر في الاخرة ان وعد الله اي الذي له معاقد العز
والجلال حق اي ان هذا اليوم الذي هذا شانه هو كاين لان الله تعالى وعد
به ووعده حق وقيل ان وعد الله حق بان لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو
جاز عن والده شيئا لانه وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق
فلا تغرنكم الحياة الدنيا بزخرفها ورونقها فانها زايلة لوقوع اليوم المذكور
بالوعد الحق ولا يغرنكم بالله اي الذي لا اعظم منه ولا مكافئ معه ولا نية معكم
الغرور اي الكثير الغرور المبالغ فيه وهو الشيطان الذي لا احقر منه لما جمع
من البعد والطرد والاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من امرها ويلهيكم به من تعظيم
قدرها وبينت لكم كيدها وغدرها وتبعها واذاها فيوجب ذلك لكم الاعراض
عن تلك الهموم فلا تعدونه معادا افلا تتخذون له زادا اما افتتن بغروره من
حلم الله تعالى وامهاله قال سعيد بن جبير الغرة بالله ان يعمل المعصية ويتمنى
المغفرة وروي ان الحارث بن عمرو اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى
قيام الساعة واني قد القيت حبا في الارض فمتى السما تمطر وحمل امراتي
اذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزل قوله تعالى ان الله اي بما له من
العظمة وجميع اوصاف الكمال عنده اي خاصة علم الساعة اي وقت
قيامها لا علم غيره بذلك اصلا وينزل الغيث اي في اوانه المقدر له والمحل
المعين له في علمه وقرا نافع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاي
والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي ويعلم ما في الارحام اي من ذكر
او انثى حي ام ميت تام ام ناقص وما تدري نفس اي من الانفس البشرية
وغيرها ماذا تكسب غدا اي من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل
خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت اي كما لا تدري في اي وقت تموت
وبعلمه الله تعالى وروي ان ابي حاتم عن مجاهد قال جاء رجل من اهل
البادية فقال يا رسول الله ان امراتي حبلى فاخبرني ماذا تلد وبلادنا مجدبة
فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت

Copyright ... University